عود إلى آداب اللغة العربية
في النهضة الأخيرة

فرغنا من المقدمات التمهيدية في مميزات هذه النهضة، وبسطنا الكلام في العلوم الدخيلة التي نُقِلت إلى العربية في أثناء ذلك، إلا بعض المنقولات القانونية أو الحقوقية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية، سنعود إليها في أماكنها، فعلينا أن نبحث في كل باب من أبواب الآداب العربية على نحو ما توخيناه في الأجزاء الماضية، وهاك الأبواب التي سننظر فيها، ونترجم أهم أصحابها:

(١) الشعر والأدب.
(٢) اللغة وعلومها.
(٣) الإنشاء.
(٤) التاريخ والجغرافية.
(٥) الموسوعات.
(٦) القضاء والإدارة.
(٧) العلوم الاقتصادية.
(٨) العلوم الاجتماعية.

وسنتكلم عن كل منها على حدة.

(١) الشعر والأدب في النهضة الأخيرة

أقبلت هذه النهضة والشعر كما كان في العصر الماضي، وانقضى العصر الأول منها ولم يتغير فيه شيء يُذكَر؛ لأن عوامل المدنية الحديثة لم تكن انتشرت بعدُ، فلم تخلف في الأحوال الاجتماعية ما يؤثِّر على القرائح والعقول، أو يتناول أقلام الكتاب، وهكذا يقال في الإنشاء، على أن الشعر سبق الإنشاء إلى النهوض.

ظل الشعر على ما كان عليه من حيث الخيال في العصر العثماني طول مدة العصر الأول من هذه النهضة (١٨٠٥–١٨٦٣)، فلما دخل العصر الثاني كانت سوريا قد أصابتها النكبات سنة ١٨٦٠ وقبلها، وهاجر الناس من لبنان ودمشق إلى بيروت وغيرها، وجاء الإفرنج وأخذوا في نشر مذاهبهم وتعاليمهم في مدارسهم، وسهَّل الخديوي إسماعيل على الإفرنج وغيرهم النزوح إلى وادي النيل والإقامة فيه، ونشَّط أهل الأدب وقرَّبهم وأنعم عليهم، فتكاثر الشعراء والأدباء، ودخل الأدبَ شيء من صبغة المدنية الحديثة، والخيالات الشعرية التي نُقِلت بالمخالطة أو الأسفار، أو مطالعة كتب الإفرنج الشعرية، أو بما حدث في مصر والشام من ظواهر المدنية وأسباب الحضارة الحديثة.

ورافق ذلك شيوع روح الحرية الشخصية بشيوع العلم الطبيعي وغيره، مما بيَّناه في باب الحرية الشخصية، فآل ذلك إلى حل القيود المتوارثة في الاجتماع والأفكار، وفي جملتها القيود الشعرية في أساليب النظم وطرق التصور الشعري، فأخذ بعض الشعراء يقلِّدون الأساليب الإفرنجية من حيث الوصف ونحوه، وقد دق شعورهم بسبب التربية العلمية الحديثة، وأدركوا من عواطف الإنسان وقواه، واكتشفوا من أسرار قلبه ما لم يعرفه القدماء، وانتشرت روح الاقتصاد، فأصبحوا لا يعملون عملًا إنْ لم يتبيَّن لهم وجه العوض فيه، وكثر الاختلاط فيه على أثر تسهيل أسباب النقل، فتحاكت الأفكار بين العرب وغيرهم من أمم العالم المتمدن، واضطروا بطبيعة العمران إلى تعلم لغاتهم، والاطلاع على آدابهم، والاقتداء بهم، وتمكن ذلك على الخصوص في العصر الثالث من هذه النهضة — نعني العصر العباسي الذي نحن فيه — وصار للشعر صبغة خاصة به.

وأصبح الشعراء على الإجمال يستنكفون من القيود التي كان سلفاؤهم مقيَّدين بها، من حيث الاستهلال والتخلص والجناس والأساليب، وصاروا إذا اهتموا بمديح أو رثاء أو غزل أو حكمة بدءوا بها رأسًا — وإن كان كثيرون منهم لا يزالون يتحدون أساليب القدماء.

(١-١) الشعر العصري

فالنزوع إلى روح العصر في النظم والنثر يراد به الخروج من القيود القديمة التي عبَّرنا عنها بالطريقة المدرسية، وقد نضجت في العصر العباسي الثالث، وأخذت تتأصل في أذهان الشعراء والأدباء، وتتسع بمرور الأعصر، حتى خرجت عن المعقول وخالفت الذوق، وروح هذا العصر تقتضي النظر في الأشياء من حيث حقائقها، والتعويل على الجوهر دون الأعراض، أو اللب دون القشر.

فالشعر والنثر الجوهر فيهما المعنى، والعرض اللفظ، فالأديب أو الشاعر العصري إذا نظم أو نثر جعل همه الالتفات إلى المعاني من حيث مطابقتها للواقع أو المعقول، ويستلزم ذلك طبعًا أن يكون لما ينظمه أو ينثره غرض معين أو حكمة، أو تعليم أو عظة، أو انتقادُ عادةٍ أو خُلُقٍ أو سياسةٍ أو غير ذلك، نحو ما يفعل أدباء الإفرنج، وتكون القصيدة أو المقالة ترمي إلى غرض مترابط الأجزاء من أولها إلى آخرها، خلافًا لما اشترطه بعض أدباء العرب من أن يكون كل بيت من القصيدة مستقلًّا بمعناه.

فإذا قلنا إن فلانًا ينزع في نظمه أو نثره إلى الأساليب العصرية، كان مرادنا أنه يلتفت إلى المعنى أكثر من التفاته إلى اللفظ، وأنه يرمي فيما يكتبه أو ينظمه إلى غرض معين يحوم حوله، ويظهر في كل جزء من أجزاء قصيدته أو مقالته، وأنه يطرق المواضيع التي اقتضتها هذه المدنية من الآداب الاجتماعية الجديدة بالوصف أو النقد أو نحو ذلك، ووصف العواطف وتشريحها، مع الجنوح إلى الحقيقة وتصويرها بلا تطرف في المبالغة، ووصف المباني أو العادات أو الأخلاق، وتحبيذها أو انتقادها،[1] ويدخل في ذلك ما أصاب مركز المرأة من الارتقاء الاجتماعي في هذا العصر عما كانت عليه قبله.

ويغلب النزوع إلى الأساليب العصرية في المطَّلِعين على الشعر الإفرنجي والآداب الإفرنجية، وربما اقتبسوا شيئًا من أساليبها أو معانيها، ولا يقلل ذلك شيئًا من شاعرية القوم، وفي مصر اليوم طبقة من الشعراء لا يشق لهم غبار، ولم يكن في مصر أشعر منهم في دور من أدوارها، لكن الطريقة العصرية التي نحن في صددها لم يتم نضجها بعدُ.

(١-٢) الشعر العامي

وتكاثر في النهضة الأخيرة بمصر والشام الشعر العامي على الأوزان العامية، وبعضها قديم كالزجل والمواليا وغيرهما مما تقدم ذكره في الأجزاء الماضية، وبعضها أحدث من ذلك، فنقتصر هنا على ما حدث منه في سوريا، ولا سيما لبنان.

فالشعر العامي في سوريا نريد به ما ينظم في لغة العامة بلا ملاحظة الإعراب أو اللغة، وأن يؤتى بالألفاظ كما ينطق بها أهل لبنان على الخصوص، وفي هذا الشعر بلاغة خاصة وخيال خاص.

وللشعر العامي أوزان بعضها يشبه أوزان الشعر الفصيح، وبعضها لا مثيل له في الأوزان المعروفة في هذا الشعر، فأوزان الشعر العامي الموجودة في الشعر الفصيح ثلاثة: الرجز، والوافر، والسريع، جاء ذكرها في مقالة ظهرت في النشرة الأسبوعية في أكتوبر سنة ١٩٠٦، لعلها للأستاذ إبراهيم الحوراني الشاعر اللغوي محرر تلك الجريدة، وهذا نصها:

«وبحور الشعر الفصيح ستة عشر، ولكني لم أجد في الشعر العامي المعروف عند العامة بالمعنى سوى ثلاثة أبحر، وهي التي سمعتها في لبنان: الرجز، والوافر، والسريع.

مثال الرجز:

خبيت مالك في الخزاين شونفع إلا الشهادة بحق أرباب الطمع
قالوا كتير الشد بيرخي الحبال وكتر شدك حبل تدبيرك قطع

ومثال الوافر:

صار القبر أقرب من خيالي وصار الصبر أبعد من منالك

ومثال السريع:

ريح الصبا بحياة غصن البان والورد والنسرين والريحان

من أين جبتي المسك بجيوبك تخمين مريتي على الخلان

ويدخل على هذه الأبحر تغيرات لا تدخل في الفصيح لا يسع المقام بيانها.

وأما أغانيهم التي يسمونها بالقراديات — وهو اسم خشن، وقد رأى ذلك كثيرون من العامة، فسموها بالعديات وبالقويلات — فبعضها لا ينطبق على وزن من أوزان الشعر المعروف، ووزن بعضها المتدارك مع تغيرات أيضًا، ومثاله:

من كتر أشواقي ليكن جيت راكب عاقطار النار

وبعضها على وزن مستفعلن مفعولن، كقول بعضهم:

راح الشباب الغالي والشيب غير حالي

وحسب بعضهم هذا من المطالع، والأكثرون على إنه من «عديات الدبكة»، وجاءت أغانيهم المعروفة عندهم بالموالات البغدادية والموالات المصرية والزلاغيط على بحر البسيط، فمن الموالات البغدادية المشهورة ما أوله:

يا ساكن البان صبري من بعادك بان ببكي دمًا كل ما غنى حمام البان

ومن الموالات المصرية ما نصه، وهو بديع:

الحب للنفس كان بكل عصر وجيل مقياس حبك لغيرك كامل التعديل
ارجع إلى النص في التوراة والإنجيل واقرأ وحافظ على قول الذي حبك
أحبب قريبك كنفسك وأترك التأويل

والزلاغيط كالموالات المصرية إلا أنها قلما جاءت غير مربعة، ومنها ما يأتي وهو ما ينطق به لسان حال العروسين:

النفس مالي وحبي اليوم لي مالك ما عاد يا نفس شيء في الأرض من مالك

قولي لمن رام يسلك في سبيل الذات اعرف بلا شك أنك في طريق هالك

ومن الزلاغيط ما وزنه مستفعلن فعلان، ومثاله:

غنى حمام البان عامايل الأغصان
لما تمايل قد عروسنا الريان

وكثيرًا ما تأتي الشطور الأربعة على روي واحد، وأما بقية أغانيهم فتأتي على أوزان مختلفة من أوزان الشعر الفصيح وغيرها، وإيراد مثل لكل منها يشغل زمانًا طويلًا». ا.هـ.

نقول: والذي نراه أن الأوزان العامية السورية التي ليس لها مماثل في الأوزان العربية الفصحى مأخوذة في الغالب عن أوزان الشعر السرياني.

(١-٣) المنقولات الشعرية والأدبية إلى اللغة العربية

نقل العرب علوم اليونان في صدر الدولة العباسية، لكنهم لم يتصدوا إلى آدابهم الشعرية ونحوها، وقلما فعلوا ذلك في أثناء التمدن الإسلامي؛ فلم ينقلوا إلياذة هوميروس، ولا أنيدة فرجيل، ولا غيرهما من أشعار اليونان والرومان، أما الفرس فإن شهنامة الفردوسي نقلها الفتح البنداري سنة ٦٧٩هـ إلى العربية، وضاعت الترجمة، وكذلك كلستان السعدي شرحها بعضهم أو عرَّبها، وضاعت ترجماتهم، ورباعيات الخيام إذا كانت قد نُقِلت فلم يصلنا منها شيء، ويقال بالإجمال إن العرب لم يهتموا بنقل آداب القدماء الشعرية، ولعلهم فعلوا ذلك لاكتفائهم بشاعرية العرب.

وأما في النهضة الأخيرة، فقد نقلوا طائفة من أهم تلك الآثار، وأقدم من فعل ذلك منهم جبرائيل مخلع المتوفى سنة ١٨٥١، نقل كلستان السعدي إلى العربية في أواسط القرن الماضي، وسيأتي ذكره، ونقل سليمان البستاني (وزير التجارة العثمانية) إلياذة هوميروس إلى العربية نقلًا دقيقًا، وضعه في قالب شعري عربي، وعلَّق عليه شرحًا تاريخيًّا ولغويًّا، وصدَّره بمقدمة في الشعر تدخل في ٢٠٠ صفحة، طُبِعت الإلياذة بمصر سنة ١٩٠٤، وتصدى بستاني آخر — نعني وديع البستاني — فنقل رباعيات عمر الخيام إلى العربية، وزيَّنها بالرسوم، طُبِع بمصر سنة ١٩١٢.

القصص الحديثة أو الروايات

ومما نُقِل من الآداب الإفرنجية في هذا العصر القصص، وقد فعل نحو ذلك نَقَلة العصر العباسي، فنقلوا عن الفرس قصصًا وحكايات ذكرناها في ما تقدم من هذا الكتاب، وأما أهل هذه النهضة فقد أكثروا من نقل هذه الكتب عن الفرنساوية والإنكليزية والإيطالية، وهي تسمى في اصطلاح أهل هذا الزمان «روايات»، والروايات المنقولة إلى العربية في هذه النهضة لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، وأكثرها يراد بها التسلية، ويندر أن يراد بها الفائدة الاجتماعية أو التاريخية أو غيرها، على أنهم نقلوا بعض روايات أو أشعار شكسبير، وهيكو، ودوماس، وموليير، وشاتوبريان، ولافونتين، وراسين، وكورنيل، وفيلون، وغيرهم.

وقد رحَّب قرَّاء العربية العقلاء بهذه الروايات لتقوم مقام القصص التي كانت شائعة بين العامة لذلك العهد، مما ألفه العرب في الأجيال الإسلامية الوسطى — نعني قصة علي الزيبق، وسيف ذي يزن، والملك الظاهر، وبني هلال، والزير ونحوها، فضلًا عن القصص القديمة كعنترة وألف ليلة وليلة — فوجدوا الروايات المنقولة عن الإفرنجية أقرب إلى المعقول مما يلائم روح هذا العصر، فأقبلوا عليها.

ثم عمد الكتَّاب إلى التأليف في هذا الفن من عند أنفسهم تقليدًا للإفرنج، ومن أقدم المشتغلين في ذلك فرنسيس مراش الآتي ذكره، ثم سليم بطرس البستاني، ألَّف بضع روايات تاريخية نشرها في الجنان، ثم ألَّف صاحب الهلال سلسلة روايات تاريخ الإسلام من أول ظهوره إلى الآن، صدر منها ١٧ رواية غير رواياته الأخرى، وأقدم آخرون على التأليف في هذا الفن، وهو على كونه مقتبسًا من الإفرنج فقد كان عند العرب من قبلُ، كما قدمنا في غير هذا المكان.

(١-٤) الشعراء والأدباء في هذه النهضة

ظهر في هذه النهضة مئات من الشعراء والأدباء في مصر وسوريا والعراق وسائر العالم العربي، والغالب أن يكون نبوغهم في ظل أمير يحب الأدب أو الشعر، أو يأتي بأعمال تستنطق القرائح وتشحذ الأذهان، شأن الشعراء في كل زمان، كما تكاثروا في زمن الرشيد، وسيف الدولة، وابن العميد، والصاحب ابن عباد، وغيرهم من الملوك وأهل الوجاهة، وكذلك في هذه النهضة فقد تكاثر الشعراء والأدباء على الخصوص في ظل الأمير بشير الشهابي، ومَن عاصره من الأمراء في سوريا، وفي زمن إسماعيل والعباس بمصر.

ويُقسَّم الكلام في شعراء هذه النهضة وأدبائها إلى ثلاثة أعصر، تدرجوا فيها من الطريقة القديمة إلى الطريقة العصرية التي تقدمت الإشارة إليها، ولا تزال الطريقة القديمة شائعة إلى الآن مع أخذهم بأسباب الطريقة الحديثة، فنترجم شعراء كل عصر أو طبقة، ونرتب تراجمهم على سني الوفاة في مصر والشام وسائر العالم العربي معًا، ونُدخِل فيهم الأدباء؛ إذ يندر بين هؤلاء من لم ينظم شعرًا.

أولًا: شعراء العصر الأول وأدباؤه من سنة ١٨٠٥–١٨٦٣

يغلب في شعراء هذه الطبقة وأدبائها المحافظة على الطريقة القديمة وأساليبها نظمًا ونثرًا؛ لأنهم لم يدركوا ما حدث من التغيير في الآداب والخلاق بالمدنية الحديثة، هاك أشهرهم:

(١) **السيد أحمد البربير البيروتي توفي سنة ١٨١١ / ١٢٢٦هـ:** هو السيد أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد، وُلِد في دمياط سنة ١٧٤٧ / ١١٦٠هـ، ونشأ في بيروت، وتوفي في دمشق، وكان شاعرًا وأديبًا، وله تلاميذ ومريدون، وهاك آثاره التي بلغنا خبرها:

(أ) مقامات البربير: على نسق مقامات الحريري، منها نسخة في المكتبة الخديوية، وطُبِع بعضها في دمشق سنة ١٣٠٠هـ.

(ب) بديعية: شرحها مصطفى الصلاحي، منها نسخة في برلين.

(جـ) الشرح الجلي على بيتَيْ الموصلي: توسَّع في شرحهما حتى استغرق كتابًا كاملًا، طُبِع في بيروت سنة ١٣٠٢هـ، فيه كثير من فنون الأدب، والبيتان اللذان شرحهما في هذا الكتاب هما قول عبد الرحمن الموصلي من أهل القرن الثامن عشر.

إِنْ مَـرَّ وَالْـمِـرْآةُ يَـوْمًـا فِـي يَـدِي ... مِنْ خَلْفِهِ ذُو اللُّطْفِ أَسْمَا مَنْ سَمَا
دَارَتْ تَمَاثِيلُ الزُّجَاجِ وَلَمْ تَزَلْ ... تَقْفُوهُ عَدْوًا حَيْثُ سَارَ وَيَمَّمَا

(د) منظومات متفرقة دارت بينه وبين معاصريه، نُشِر بعضها في المشرق ص١٤ سنة ٣، وفي تاريخ الآداب العربية للأب شيخو (ص٢١ ج١).

(٢) **السيد إسماعيل الخشاب المصري توفي سنة ١٨١٥ / ١٢٣٠هـ:** هو إسماعيل بن سعد الخشاب، تقدَّم ذكره في كلامنا عن الصحافة العربية في أيام بونابرت، وكان أبوه نجارًا، وتفقَّه إسماعيل من صغره بالقرآن وسائر العلوم على أئمة عصره، وكان يرتزق

من الشهادة بالمحكمة الشرعية، وفيه ميل إلى المطالعة في الكتب الأدبية والتاريخية، فحفظ منها شيئًا كثيرًا، وأصبح نادرة عصره في المحاضرات والمذكرات، ونظم الشعر الرائق، وتقرَّب بأدبه إلى طبقة الوجهاء والرؤساء، وتنافسوا في صحبته كالشيخ السادات وغيره، ولما جاء الفرنساويون مصر، ورتَّبوا ديوان قضايا المسلمين عيَّنوه كاتبًا لحوادث الديوان اليومية كما تقدم، وقرروا له في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة، قضى في ذلك مدة ولاية جاك منو إلى خروجهم من مصر سنة ١٨٠١، وظل على الشهادة في المحكمة، فإذا صح أن نسمي تلك الصحيفة جريدة كان الخشاب أول من حرر جريدة عربية في العالم، وكان عشيرًا للشيخ حسن العطار يتذاكران ويتناشدان ويتحاضران في مجالس لطيفة، ولما توفي الخشاب سنة ١٢٣٠هـ جمع العطار ما كان لصديقه من المنظوم في كتاب هو ديوان الخشاب، منه نسخة في الخزانة التيمورية.

(٣) **الشيخ محمد المهدي المصري توفي سنة ١٨١٥ / ١٢٣٠هـ:** وُلِد قبطيًّا ثم اعتنق الإسلام، وترقى في المناصب حتى صار شيخًا للأزهر، وعرفه الفرنساويون لما جاءوا مصر وقرَّبوه، وجعلوه من أعضاء الديوان الخصوصي، وله مؤلَّف أدبي يشبه ألف ليلة وليلة، وسماه تحفة المستيقظ الآنس في نزهة المستنيم الناعس، تُرجِم إلى الفرنساوية، ونُشِر فيها.

(٤) **السيد عمر اليافي توفي سنة ١٨١٨ / ١٢٣٤هـ:** هو قطب الدين بن محمد البكري الدمياطي من أصحاب الطريقة الخلوتية، وُلِد في يافا، ورحل إلى مصر في أواخر القرن الثامن عشر يطلب التبحر في العلم على عادة طلاب العلم في ذلك العصر، ثم عاد إلى بلده، وتوفي في دمشق سنة ١٨١٨، وكان متصوفًا، وله ديوان من شعره ورسائله طُبِع في بيروت سنة ١٨٩٣، فيه طائفة حسنة من الموشحات والأدوار الغنائية، وله رسائل في التصوف وطرائفه.

(٥) **الشيخ أمين الجندي الحمصي توفي سنة ١٨٤١ / ١٢٥٧هـ:** هو أشهر من نظم الأدوار الغنائية في سوريا ووقعها على الألحان، وُلِد في حمص، وأبوه خالد آغا، ورحل إلى دمشق وقرأ على علمائها، ومنهم السيد عمر اليافي المتقدم ذكره، ثم استقر في حمص ومارس الشعر، ووشى به بعضهم للدولة فقبضوا عليه وسجنوه في الإسطبل سنة ١٨٣٠ / ١٢٤٦هـ، ثم نجا على يد الدنادشة لما دخلوا حمص عنوة وقتلوا عاملها، وله ديوان طُبِع في بيروت غير مرة جامع لما قاله أو نظمه من القصائد والمقطعات والموشحات والمواليات، وبعض أشعاره لا يزال يتغنى بها أهل سوريا إلى اليوم.[٢]

الشيخ محمد المهدي.

(٦) **المعلم بطرس كرامة الحمصي المتوفى سنة ١٨٥١ / ١٢٦٨هـ:** هو من شعراء الأمير بشير الشهابي، أصله من حمص، ونزح إلى لبنان، ويعرف التركية فاستقدمه الأمير بشير لتعليم ابنيه هذا اللسان واللغة العربية، ثم جعله موضع ثقته، فأعانه كرامة في تنظيم حكومته، ولما نُفِي الأمير سنة ١٨٤٠ رافقه في منفاه إلى الأستانة، فتعين هناك مترجمًا في المابين حتى توفي، وقد جُمِع شعره في ثلاثة دواوين طُبِع واحد منها في بيروت سنة ١٨٩٨، وأكثره في مدح الأمير بشير.[٣]

(٧) **جبرائيل مخلع الدمشقي توفي سنة ١٨٥١ / ١٢٦٨هـ:** أصله من دمشق، وله معرفة باللغات العربية والفارسية والتركية، وسافر إلى مصر، وتقلب في بعض مناصبها، ثم عاد إلى بلده ومات فيها، وكان أديبًا استخدم معرفته الفارسية في نقل كتاب كلستان السعدي الفارسي إلى العربية نثرًا ونظمًا، وطُبِع في مصر سنة ١٨٤٦، وتجد أمثلة منه في تاريخ الآداب العربية للأب شيخو صفحة ١٠٠ ج١.

(٨) **السيد علي الدرويش المصري المتوفى سنة ١٨٥٣ / ١٢٧٠هـ:** هو السيد علي بن حسن بن إبراهيم المصري الشهير بالدرويش، كان من خيرة شعراء مصر في أوائل القرن الماضي، نشأ في القاهرة، وكانت له منزلة رفيعة بين الأمراء والوجهاء، وقد مدحهم، وعُرِف على الخصوص بشاعر عباس باشا الأول، واهتم تلميذه الشيخ مصطفى سلامة النجاري بجمع ديوانه، ورتبه على ثلاثة أبواب: الأول في الصناعات مرتَّب على السنين، الثاني في غير المصنع رتَّبه على حروف المعجم، والثالث في النثر والأدوار، طُبِع على الحجر بمصر سنة ١٢٨٤هـ، ويسمى الأشعار بحميد الأشعار.

(٩) **ابن الصباغ العراقي المتوفى سنة ١٨٥٤ / ١٢٧١هـ:** هو عبد الحميد الموصلي أحد شعراء العراق، وله شهرة واسعة في تلك الأصقاع، لم تُجمَع أشعاره في ديوان على ما نعلم، لكن منها أمثلة في كتاب تاريخ الآداب العربية للأب شيخو.

(١٠) **الشيخ شهاب الدين المصري توفي سنة ١٨٥٧ / ١٢٧٤هـ:** هو الشيخ شهاب الدين محمد بن إسماعيل بن عمر المصري، وُلِد في مكة في أول القرن التاسع عشر، ورحل إلى مصر، تفقَّه في أزهرها على الشيخين العروسي والعطار، وبرع في الأدب والشعر وتعلم الحساب والهندسة والموسيقى، وساعد العطار في تحرير الوقائع المصرية، ثم خلفه في تحريرها، وجاء الشيخ أحمد فارس الشدياق في أثناء ذلك إلى مصر وأخذ عنه، ثم جُعِل مصححًا لمطبوعات بولاق، وانقطع أخيرًا للكتابة حتى مات، وأشهر آثاره:

(أ) مجموعة في الأدب تُنسَب إليه سماها «سفينة الملك ونفيسة الفلك»، وتُعرَف بسفينة شهاب الدين، فيها أمثلة كثيرة من الموالي والموشحات والأهازيج والأزجال التي يتغنى بها، رتبها على ثلاثة أبواب: الأول في الموسيقى، والثاني في ما نظمه فيه، والثالث في التلاحين والعمليات وغيرها، طُبِعت بمصر غير مرة.

(ب) ديوان الشعر: مرتَّب على حروف المعجم، طُبِع بمصر سنة ١٢٧٧هـ.

(١١) **عبد الباقي العمري الموصلي المتوفى سنة ١٨٦٢ / ١٢٧٨هـ:** هو عبد الباقي العمري الفاروقي الموصلي شاعر العراق في أواسط القرن الماضي، وُلِد في الموصل سنة ١٧٩٠ / ١٢٠٤هـ، وتوفي في بغداد، ويتصل نسبه بعمر الفاروق، وبيت الفاروقي في العراق بيت علم وفضل، وكان عبد الباقي على جانب عظيم من الذكاء وسعة الخيال، وله منزلة سامية بين قومه يوجهونه في الأمور العظام، وتولى مناصب رفيعة في ولاية بغداد،

ومدحه الأخرس وغيره من الشعراء، وله مع أدباء عصره وشعرائه مذكرات مشهورة، ولم ينفك عن الاشتغال بالأدب حتى أصبح إمام الأدباء في وقته، وهاك أهم آثاره:

(أ) الترياق الفاروقي: طُبِع بمصر سنة ١٣٨٧هـ.
(ب) نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر.
(جـ) أهلة الأفكار في مغاني الابتكار.[٤]

(١٢) **إبراهيم بك مرزوق المصري توفي سنة ١٨٦٦ / ١٢٨٣هـ:** نشأ في مصر، ورحل إلى السودان، وتوفي في الخرطوم، وكان أديبًا وشاعرًا، وقد جُمِع شعره في ديوان طُبِع بمصر سنة ١٢٨٧هـ، وهو مرتَّب حسب المواضيع.

ثانيًا: شعراء العصر الثاني وأدباؤه من سنة ١٨٦٣ إلى أوائل الاحتلال

يبدأ هذا العصر بالنهضة الأدبية التي حدثت في زمن إسماعيل، وينتهي بأوائل الاحتلال، وقد أخذ بعض شعراء هذا القرن بأطراف الشعر العصري، ولا سيما الذين اطَّلَعوا منهم على الآداب الإفرنجية، لكن أكثرهم ما زالوا على الأسلوب القديم، وبينهم طائفة من الأدباء، وهم:

(١) **محمود قبادو التونسي المتوفى سنة ١٨٦٨ / ١٢٥٨هـ:** هو من أدباء تونس، واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة إلى ما يفوق التصديق، ويسميه بعض التونسيين النابغة الإفريقي، وكان واسع المعرفة في اللغة والأدب، واشتهر بالشعر، وله ديوان طُبِع في تونس سنة ١٢٩٦هـ في جزأين.

(٢) **سليمان الحرايري التونسي توفي نحو سنة ١٨٧٠ / ١٢٨٧هـ:** أصله من عائلة فارسية نزحت إلى شمالي إفريقيا وتوطنت هناك، وُلِد سليمان سنة ١٨٢٤ في تونس، وتلقى العلوم العربية، ثم أكبَّ على مطالعة العلوم الحديثة: الطبيعيات، والرياضيات، واللغة الفرنساوية، وولاه باي تونس رئاسة كتاب ديوانه سنة ١٨٤٠، ثم رحل إلى باريس، وتعين أستاذًا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية هناك في أواسط القرن التاسع عشر، وتولى التحرير في جريدة برجيس باريس التي أنشأها الشيخ رشيد الدحداح الآتي ذكره، وعرَّب بعض الكتب العصرية، وخلف آثارًا حسنة أهمها:

(أ) ما نشره في جريدة برجيس باريس من المقالات والكتب، منها كتاب قلائد العقيان.

(ب) رسالة في الظواهر الجوية: طُبِعت في باريس سنة ١٨٦٢، فيها خلاصة هذا الفن.

(جـ) عرض البضائع العام: وصف به معرض باريس سنة ١٨٦٧.

(د) القول المحقق في تحريم البن المحرق.

(هـ) ترجم كتاب لومون في الأصول النحوية.[٥]

(٣) **فرنسيس مراش الحلبي المتوفى نحو سنة ١٨٧٣ / ١٢٩٠هـ:** آل مراش في حلب بيت عريق في الأدب والشعر، اشتهر منه غير واحد من الشعراء والكُتَّاب والأدباء، وأشهرهم الإخوة فرنسيس وعبد الله ابنا فتح الله مراش، وأختهما مريانا، وكانت مريانا هذه كاتبة أديبة، وأخوها عبد الله من أبلغ كتاب العرب، له أسلوب إنشائي يشبه أسلوب الشيخ إبراهيم اليازجي، ظهرت منه أمثلة في مجلة الضياء.

وفرنسيس أكثرهم آثارًا باقية، وُلِد في حلب سنة ١٨٣٦، وسافر مع أبيه إلى أوربا سنة ١٨٥٠ وهو غلام، وزار بيروت وغيرها، وفيه ميل إلى الأدب والشعر وسائر العلوم، ففتقت الأسفار قريحته، ومال إلى الطب فتعلم بعضه في حلب، ثم طلبه في باريس سنة ١٨٦٦، لكنه لم يوفَّق إلى إتمام درسه لانحراف صحته، فرجع إلى حلب وهو مكفوف البصر، وظل فيها إلى وفاته وهو في إبان الشباب، وكان متوقد الفكر لا يفتر عن التفكير أو النظم أو التأليف، وفي شعره نزوع إلى روح العصر، وهو من أقدم النازعين إلى هذه الروح في هذه النهضة، نبهه إلى ذلك اختلاطه بالإفرنج، واطلاعه على آدابهم، وله مؤلفات اجتماعية فلسفية أو سياسية هذه أسماؤها:

(أ) ديوان مرآة الحسناء:طبع في بيروت سنة ١٨٨٣.

(ب) غابة الحق: صنَّف معظمه في باريس، وقد ضمنه آراء فلسفية اجتماعية، طُبِعت في حلب وبيروت ومصر.

(جـ) مشهد الأحوال: ألَّفه في حلب لمثل ذلك الغرض، طُبِع في بيروت سنة ١٨٨٣.

(د) رحلة إلى باريس: طُبِعت في بيروت سنة ١٨٦٧.

(هـ) شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة: طُبِعت في بيروت.

(و) المرآة الصفية في المبادئ الطبيعية: طُبِعت في حلب سنة ١٨٦١.

(ز) در الصدف في غرائب الصدف: رواية اجتماعية طُبِعت في بيروت.

(ح) تعزية المكروب: خطبة طُبِعت سنة ١٨٦٤.

(ط) الكنوز الغنية في الرموز الميمونية: قصيدة رائية في ٥٠٠ بيت، ضمنها خيالات شعرية رمزية كما يفعل أدباء الإفرنج، وقد جاراهم في شعره ونثره بالالتفات إلى المعنى دون اللفظ، فجاء أسلوبه ضعيفًا.[٦]

(٤) **عبد الغفار الأخرس العراقي توفي سنة ١٨٧٣ / ١٢٩٠هـ:** هو من نوابغ الشعراء، وله شهرة طائرة في العراق وبلاد العرب والعجم، يتناشد أقواله الأدباء في مجالسهم، وُلِد في الموصل، ونزح إلى بغداد، وأكثر إقامته فيها وفي البصرة، وسُمِّي الأخرس للكنة في لسانه، فأحب والي بغداد أن ينفق على معالجته، فقال له أحد الأطباء: «نعالج لسانك بدواء، فإما ينطلق وإما تموت.» فقال: «لا أبيع بعضي بكلي.» وكف عن العلاج، وكان قوي الشاعرية واسع الخيال، جُمِع شعره في ديوان طُبِع في الأستانة سنة ١٣٠٤هـ، اسمه «الطراز الأنفس في شعر الأخرس».[٧]

(٥) **الحاج عمر الأنسي البيروتي توفي سنة ١٨٧٦ / ١٢٩٣هـ:** أصله من أسرة تُعرَف بآل الصقعان، وُلِد في بيروت، وتثقف فيها على الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد، وعكف على نظم الشعر، وتنقل في مناصب إدارية مختلفة حتى توفي، وله ديوان طُبِع في بيروت تزيد أبياته عن ٦٥٠٠ بيت، فيه فنون غريبة من صناعة النظم، تجد أمثلة منها في ترجمته في كتاب تراجم مشاهير الشرق ٢٩٣ ج٢.

(٦) **علي أبو النصر المنفلوطي توفي سنة ١٨٨٠ / ١٢٩٨هـ:** هو من نوابغ شعراء مصر في أواسط القرن الماضي، وُلِد في منفلوط وفيه قريحة وقادة، فنظم الشعر وهو غلام، ونبغ في عصر إسماعيل، وكان من المقربين إليه وقد نال جوائزه، ومدحه ومدح غيره من أمراء الأسرة الخديوية، ورافق الخديوي إسماعيل لما سافر إلى الأستانة في زمن السلطان عبد العزيز، وسافر إلى الأستانة قبل ذلك موفدًا من محمد علي على عهد عبد المجيد، وذاعت شهرته، وله ديوان مرتَّب على حروف المعجم طُبِع بمصر سنة ١٣٠٠هـ، فيه منتخبات من أكثر أبواب الشعر.

(٧) **الساعاتي المصري توفي سنة ١٨٨٠ / ١٢٩٨هـ:** هو محمود صفوت الزيلع، نشأ في القاهرة، وعاصر أبا النصر وتراسلا، وكان أديبًا وشاعرًا، وحج فأكرمه أمير مكة واستبقاه عنده مدة ثم عاد إلى مصر وتوفي فيها، وله ديوان طُبِع سنة ١٩١٢ كاملًا وهو مرتَّب على المواضيع.

(٨) **الحاج حسين بيهم البيروتي توفي سنة ١٨٨١ / ١٢٩٨هـ:** هو من أسرة عريقة في الحسب والنسب في بيروت، نشأ في بيروت وفيه ميل إلى العلم والأدب وقريحة شعرية،

وقد تفقه على الشيخ محمد الحوت، والشيخ عبد الله خالد، وتعاطى التجارة، ثم انقطع للعلم وتنشيط أهله، وقد رأيت أنه كان في جملة أعضاء الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٦٨، ولما توفي رئيسها الأمير محمد أرسلان انتُخِب هو رئيسًا لها، وكان حاضر البديهة سريع الخاطر، تولى عدة مناصب إدارية عالية في الحكومة العثمانية، وانتُخِب سنة ١٨٧٦ نائبًا عن بيروت في مجلس المبعوثان الأول، ثم انحل المجلس فعاد إلى بلده، وقضى فيه سائر حياته، وله ديوان شعر رقيق، ورواية أدبية وطنية مُثِّلت في بيروت.

(٩) **الميقاتي الطرابلسي توفي سنة ١٨٨٤ / ١٣٠٢هـ:** كان شاعرًا رقيقًا، جُمِع شعره في ديوان طُبِع في بيروت سنة ١٨٨٦، اسمه حسن الصياغة لجوهر البلاغة.

ثالثًا: شعراء العصر الثالث وأدباؤه من أوائل الاحتلال إلى الآن

تمكن أسلوب الشعر العصري في شعراء هذه الطبقة، ولا سيما في الذين لا يزالون أحياء منهم، لكننا لا نترجم غير المتوفين وهم:

(١) **الشيخ خليل اليازجي اللبناني توفي سنة ١٨٨٩ / ١٣٠٧هـ:** هو ابن الشيخ ناصيف اليازجي، وشقيق الشيخ إبراهيم الآتي ذكرهما. وكان الشيخ خليل شاعرًا مطبوعًا سريع الخاطر، رضع آداب اللغة العربية مع اللبن، وتفقه بالرياضيات والطبيعيات عند الأميركان في بيروت ونظمهما شعرًا، وجاء مصر سنة ١٨٨١، أنشأ فيها مجلة مرآة الشرق، لم يصدر منها إلا بضعة أعداد وأقفلت عند ظهور الثورة العرابية، فعاد إلى بيروت وتولى تدريس اللغة العربية في المدرسة البطريركية والكلية الأميركية، وأصيب سنة ١٨٨٦ بعلة الصدر، فلما فرغت حيل الأطباء في علاجها جاء للاستشفاء بهواء القاهرة، وطبع فيها ديوانه «نسمات الأوراق»، وهو من خيرة الدواوين الشعرية، ثم عاد إلى لبنان وتوفي في الحدث.

ويمتاز الشيخ خليل عن سائر شعراء هذه النهضة بعمل لم يُقدِم عليه سواه، نعني تأليف «رواية المروءة والوفاء»، وهي شعرية تمثيلية مبنية على حكاية حنظلة والنعمان، تحدى فيها كبار كتَّاب الإفرنج في وضع الروايات التمثيلية في الشعر، بلغت أبياتها نحو ألف بيت، وقد مُثِّلت في بيروت سنة ١٨٧٨، وطُبِعت فيها سنة ١٨٨٤، وفي مصر سنة ١٩٠٢، ومن آثار قلمه أنه نقَّح كليلة ودمنة وضبطه بالشكل الكامل، وفسَّر العويص من ألفاظه، ووقف على طبعه، وأخذ في تأليف معجم لو مُدَّ في أجله لإتمامه لكان فريدًا

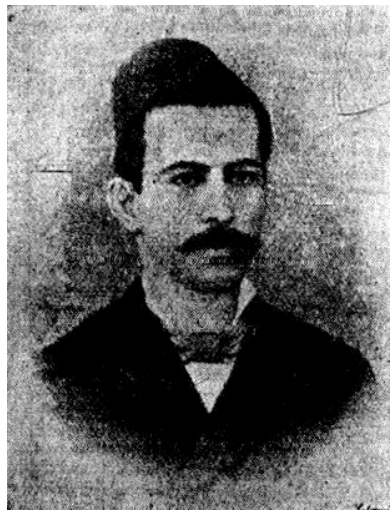

الشيخ خليل اليازجي.

في بابه، نعني «الصحيح بين العامي والفصيح»، رأيناه يشتغل بجمعه في القاهرة سنة ١٨٨٨، يفسر الألفاظ العامية أو التعبيرات العامية بألفاظ وتعابير فصيحة، ولا نعلم مصير هذا الكتاب الآن.[٨]

(٢) **عبد الله باشا فكري المصري توفي سنة ١٨٨٩/١٣٠٧هـ:** هو من نوابغ المصريين في الأدب والشعر، تقلب في مناصب الحكومة وهو عامل على الدرس والمطالعة، وأتقن اللغة والفقه والحديث والمنطق، وتعلم التركية، وسافر بمعية الخديوي إسماعيل إلى الأستانة لأداء فريضة الشكر على ولايته، ورافقه إليها غير مرة، ثم كلَّفه مراقبة تعليم أنجاله وتدريبهم، وأدى مهمات أخرى ذات بال في المالية والمكاتب الأهلية، وتعيَّن أخيرًا وكيلًا لنظارة المعارف سنة ١٨٧٨/١٢٩٦هـ، ونال رتبة أمير الأمراء، ثم صار ناظرًا للمعارف، ولما انقضت الثورة العرابية كان ممن اتُّهِم بالاشتراك فيها، فأثبت براءته فخُلِّي سبيله، ثم حج ورحل إلى سوريا وزار مدنها وآثارها، وانتدبته الحكومة سنة ١٨٨٨/١٣٠٦هـ لرئاسة الوفد لحضور المؤتمر الشرقي الذي عُقِد في استوكهلم. ولما عاد أخذ في تدوين رحلته فاعترضه المرض، وأدركته الوفاة ولم يتمها، فأتمها ابنه أمين

باشا فكري الآتي ذكره، ونشرها سنة ١٨٩٢هـ، وفيها كثير من نظم المؤلف غير المقالات والخطب، وله فضلًا عن ذلك كتاب تعليمي اسمه الفصول الفكرية للمكاتب المصرية طُبِع مرارًا، وتعريب المملكة الباطنية عرَّبها عن التركية طُبِعت سنة ١٢٩٠.[٩]

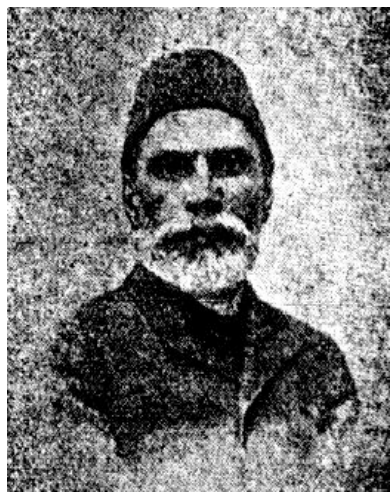

عبد الله باشا فكري.

(٣) **أسعد طراد البيروتي توفي سنة ١٨٩١/١٣٠٨هـ:** هو من أسرة شهيرة في بيروت، نبغ منها غير واحد من الشعراء والأدباء والكتَّاب، وهو من خيرة الشعراء، كان يتردد على الشيخ ناصيف اليازجي، وقد تحداه في أساليبه الشعرية، وله ديوان طُبِع في بيروت، وفيه قصائد في وصف بعض المخترعات العصرية.

(٤) **الشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسي توفي سنة ١٨٩١/١٣٠٨هـ:** وُلِد في طرابلس الشام، وأقام في بيروت، وتفقه بالعلوم اللسانية والأدبية، وعلَّم في البلدين وتقلد مناصب عالية، قضى في رئاسة كتَّاب بيروت بضعًا وثلاثين سنة، وحرَّر في ثمرات الفنون مدة، وخلف آثارًا جمة ظهر منها:

(أ) فرائد اللآل في مجمع الأمثال: وهو نظم أمثال الميداني وشرحها، طُبِع في بيروت سنة ١٣١٢هـ.

(ب) منظومات تبلغ نحو ٨٠٠٠٠ بيت في ثلاثة دواوين.
(جـ) وله مقامات وروايات جاء ذكرها في مقدمة طبعة فرائد اللآل.

(٥) **الشيخ علي الليثي المصري توفي سنة ١٨٩٦/١٣١٣هـ:** هو من أشعر شعراء القرن الماضي، وكان متمكنًا من اللغة والأدب، قرَّبه الخديوي إسماعيل، وجعله شاعر المعية، وكان يرافقه في حله وترحاله، وكان معاصروه من الأدباء والشعراء يطارحونه ويكاتبونه، وكان لطيف العشرة، خفيف الروح، حسن الأسلوب، له منظومات كثيرة لم تُنشَر في كتاب.

الشيخ علي الليثي.

(٦) **عبد الله نديم المصري توفي سنة ١٨٩٦ / ١٣١٤هـ:** هو أديب خطيب اشتهر في أثناء الحوادث العرابية؛ لأنه كان خطيبها، وُلِد في الإسكندرية ونشأ فيها، ولما تحركت الخواطر في أوائل ولاية الخديوي السابق كان عبد الله نديم في جملة المحرضين بالكتابة والخطابة في الجمعيات السياسية وغيرها، كما ذكرنا في باب الجمعيات، وأنشأ في أثناء ذلك مدرسةً شخَّص فيها روايتين: «الوطن»، و«العرب»، حضرهما الخديوي المذكور ونشطه بمئة جنيه، ومرمى الروايتين الانتقاد على حالة مصر من حيث استئثار الأجانب فيها، وأنشأ جريدة التنكيت والتبكيت الهزلية الجدية، ثم أبدلها بالطائف، وكانت تظهر في أثناء الثورة، ولما انقضت الثورة وحوكم العرابيون كان نديم مختفيًا، قضى في اختفائه عشر سنين، ثم ظهر وعُفِي عنه، وأنشأ مجلة الأستاذ ظهرت والهلال في عام واحد (سنة ١٨٩٢)، لكنها لم تتم العام على ظهورها لما فيها من النقد الشديد والتحريض، فقررت الحكومة إبعاده عن مصر، فذهب إلى الأستانة وأقام فيها إلى وفاته. وله آثار شعرية كثيرة غير ما تقدم ذكره، لم يُنشَر منها إلا كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم، طُبِع بالقاهرة غير مرة.[١٠]

(٧) **شاكر شقير اللبناني توفي سنة ١٨٩٦ / ١٣١٤هـ:** هو من أسرة عريقة في النسب مشهورة في سوريا ومصر، وُلِد في الشويفات سنة ١٨٥٠، وكان شاعرًا مطبوعًا سريع الخاطر، وكاتبًا مُجِيدًا، وقد ساعد في إنشاء دائرة المعارف للبستاني، وعلَّم في كثير من المدارس السورية، وحرَّر في كثير من جرائد سوريا ومجلاتها، وكان عضوًا في المجمع العلمي الشرقي، وجاء مصر سنة ١٨٩٥، فأنشأ فيها مجلة «الكنانة» لم يطل بقاؤها، وقد عرَّب كثيرًا من الروايات عن الفرنساوية، وله قصائد كثيرة متفرقة، وأهم مؤلفاته:

(أ) مصباح الأفكار في نظم الأشعار: طبع في بيروت سنة ١٨٧٣.
(ب) منتخبات الأشعار: طبع سنة ١٨٧٦.
(جـ) لسان غصن لبنان في انتقاد اللغة العصرية:طبع في بيروت.
(د) أساليب العرب في الإنشاء: طبع في بيروت.
(هـ) ترجمة آثار الأمم لفولني.

(و) عرَّب عشرات من الروايات الأدبية عن الفرنساوية، وألَّف بعضها من عند نفسه، ووقف على طبع كتب هامة، وله تفنُّن في النظم، وأشعاره كثيرة لو جُمِعت لزادت على مجلدين كبيرين. وكان له أخ اسمه فارس له قريحة شعرية سيالة، وخلف منظومات متفرقة.

عبد الله نديم.

(٨) **عثمان بك جلال المصري توفي سنة ١٨٩٨ / ١٣١٦هـ:** كان أديبًا مطَّلِعًا على آداب الإفرنج، وارتقى في مناصب الحكومة الكتابية، واستصحبه الخديوي السابق في رحلته في القطر المصري، وتولى القضاء في محكمة الاستئناف، وله مؤلفات هامة بالنظر إلى هذه النهضة، نعني أنه وضع الروايات التمثيلية في لغة العامة، أهمها:

(أ) رواية ترتوف لمولير الفرنساوي: وضعها في قالب عربي بلغة عامة مصر، وسماها الشيخ متلوف، شُخِّصت على المراسح سنة ١٩١٢، وطُبِعت ونُشِرت.

(ب) أمثال لافونتين: نقلها إلى العربية، ووضعها في شعر عربي، وسماها العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ، طُبِعت بمصر.

(جـ) السياحة الخديوية في الأقاليم المصرية: أرجوزة طُبِعت بمصر سنة ١٢٩٧هـ.

(د) رواية بول وفرجيني: منقولة عن الفرنساوية — وغيرها.

(٩) **سليمان الصولة الدمشقي توفي سنة ١٨٩٩ / ١٣١٧هـ:** هو شاعر مطبوع نشأ في دمشق، ورحل إلى مصر في أيام محمد علي، وأخذ عن أئمتها اللغة، وتقلَّد بعض المناصب المصرية، وعاد إلى وطنه مع إبراهيم باشا لما سار لفتح سوريا، واستقر في دمشق، وتقلَّب في مناصب الدولة العثمانية، ثم عاد إلى مصر وتوفي فيها عن ٨٥ سنة، وقد جُمِعت أشعاره في ديوان طُبِع بمصر سنة ١٨٩٤.

(١٠) **جبرائيل دلال الحلبي توفي سنة ١٨٩٩ / ١٣١٧هـ:** هو سليل بيت من أقدم بيوتات حلب في الجاه والعلم، وُلِد فيها سنة ١٨٣٦، وبيت أبيه عبد الله مجتمع الأدباء والنبلاء، توفي أبوه وهو غلام، فاهتمت شقيقته بتعليمه في عنطورة، لم يمكث فيها طويلًا، لكنه كان قوي الحافظة كثير الاجتهاد، فلم يمضِ زمن حتى تعلم الفرنساوية والإيطالية والتركية، وأخذ في مطالعة كتب الأدب، وحفظ أحاسن أشعار العرب.

جبرائيل دلال الحلبي.

ومال إلى الموسيقى فأتقنها، وطالع العلوم العصرية وألَمَّ بأكثرها، وسافر إلى الأستانة وهو في العشرين من سنه ليرث عمًّا له توفي هناك، وعاد إلى حلب فتزوج وساح في أوربا وتفقد آثار الأندلس، وعاد إلى مرسيليا، فماتت قرينته هناك فأسف عليها كثيرًا،

وعمد إلى الأسفار، واستقر أخيرًا في باريس، وأخذ في تحرير جريدة الصدى التي كانت تصدر بباريس في العربية سنة ١٨٧٧، وتعرَّف هناك بخير الدين باشا التونسي، فاتخذه نديمًا له أو كاتبًا ليده، ولما انتُدِب خير الدين للصدارة في الأستانة كلَّف جبرائيل لإنشاء جريدة ينشر فيها آراءه السياسية، فصدرت جريدة السلام ولم يطل عمرها، وفي سنة ١٨٨٢ انتُدِب للتعليم في مدرسة فينا الملكية، وعاد بعد سنتين إلى حلب ثم بيروت، ومنها إلى الأستانة، فتعين أمين مجلس المعارف، ثم اتُّهِم بنظم قصيدة اسمها العرش والهيكل تنتقد سياسة عبد الحميد، فقُبِض عليه وزُجَّ في السجن، فبقي فيه حتى توفي سنة ١٨٩٩، وكان شاعرًا بليغًا لم يخلف من الآثار غير ما نشر في الجريدتين المذكورتين، وغيرهما من الجرائد المعاصرة، وقد ألَّف قسطاكي بك حمصي كتابًا فيه سماه السحر الحلال في شعر الدلال طُبِع سنة ١٩٠٣.

(١١) **الشيخ نجيب الحداد اللبناني توفي سنة ١٨٩٩/١٣١٧هـ:** وُلِد سنة ١٨٦٧، ووالده سليمان الحداد ووالدته بنت الشيخ ناصيف اليازجي، فرُبِّي في مهد الأدب، وورث مَلَكة الشعر من جديه، ورضع لبان النظم والنثر من خاليه.

وقد نظم الشعر قبل أن يدرك الحلم، وكان مع ذلك منشئًا بليغًا مع ميل إلى الصحافة، فحرر في جريدة الأهرام إلى سنة ١٨٩٤، ثم اعتزلها وأنشأ جريدة لسان العرب بالإسكندرية، وتولى رئاسة تحريرها، وحرر جرائد أخرى، ويجوز عده من الصحافيين، لكن الشاعرية غالبة عليه، وتوفي في عنفوان الشباب، وامتاز عن أكثر معاصريه من الأدباء بتعريب أو تأليف الروايات التمثيلية، وأكثرها يُمثَّل على المراسح العربية حتى الآن، وهاك أشهر آثاره:

(أ) رواية صلاح الدين: أصلها تأليف ولتر سكوت، فسبكها الحداد في قالب تمثيلي.

(ب) رواية السيد: هي من مؤلفات كورنيل الكاتب الفرنساوي، فنقلها إلى اللسان العربي، وسماها «غرام وانتقام»، وقد مُثِّلت مرارًا.

(جـ) رواية المهدي: وهي تشخيصية تاريخية، مثَّل فيها بعض حوادث المهدي السوداني.

(د) رواية حمدان: عرَّبها عن رواية أرناني لفكتور هوكو.

(هـ) رواية شهداء الغرام: عرَّبها عن روميو وجوليت لشكسبير.

(و) رواية الرجاء بعد اليأس.

(ز) رواية البخيل: معرَّبة.

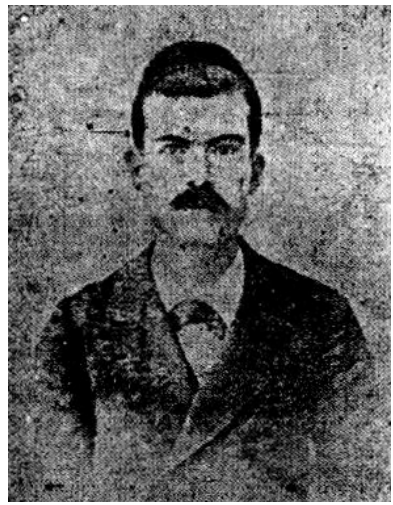

الشيخ نجيب الحداد.

(ح) رواية غصن البان.
(ط) رواية ثارات العرب.
(ي) رواية الفرسان الثلاثة لإسكندر دوماس: نقلها إلى العربية.

وكل هذه الروايات مطبوعة، فضلًا عن مقالاته في الصحف التي حررها، وقد جُمِعت نخبة منها في كتاب اسمه منتخبات الحداد مع كثير من شعره، طُبِع بمصر.[١١]

(١٢) **عائشة التيمورية توفيت سنة ١٩٠٢ / ١٣٢٠هـ:** هي شقيقة أحمد بك تيمور صاحب الخزانة التيمورية المتقدم ذكرها، وُلِدت في مصر سنة ١٨٤٠ / ١٢٥٦هـ، ونشأت من صغرها مائلة إلى الأدب والشعر، فعني والدها بتعليمها، فتعلمت العربية والفارسية فنالت منهما حظًّا وافرًا، وظهرت قريحتها الشعرية، فأخذت في مطالعة الأدب ولا سيما الدواوين، وتزوجت بمحمد توفيق بك بن محمود بك الإسلامبولي سنة ١٨٥٤ / ١٢٧١هـ، فشغلتها مهام الزواج عن المطالعة، فلما شبَّت ابنتها توحيدة عهدت إليها بمهام المنزل، وقد توفي والدها وزوجها، فتفرغت للمطالعة، وأتقنت النحو والعروض على فاطمة الأزهرية، وستيتة الطبلاوية، وأخذت في نظم الأزجال والموشحات والقصائد في اللغات

العربية والفارسية والتركية، وهي تهتم بنشر هذه المنظومات، توفيت ابنتها توحيدة فعظم ذلك عليها، وشُغِلت بالحزن والبكاء سبع سنين، ثم عادت إلى نشر آثارها التعليمية، وهاك ما عثرنا عليه منها:

(أ) شكوفة: هو ديوانها في التركية، طُبِع في الأستانة.
(ب) حلية الطراز: هو ديوانها العربي، طُبِع في مصر مرارًا.
(جـ) نتائج الأحوال: في الأدب، طُبِع بمصر.

(١٣) محمود باشا سامي البارودي توفي سنة ١٩٠٤ / ١٣٢٢هـ:

محمود سامي باشا البارودي.

هو شركسي الأصل مصري المولد، تلقى العلم في المدارس الحربية، وكان من صباه ميالًا إلى الشعر، وله مطمع في الرئاسة كما كان المتنبي، وكان يعرف التركية فنظم فيها،

وتقرب من أرباب الحل والعقد وهو يرتقي في الجندية، وتولى مهامَّ خطيرة في الأستانة، وشهد حرب الروس سنة ١٨٧٧، وترقى في مناصب الحكومة من مدير فما بعده، وبلغ في أثناء الثورة العرابية إلى رئاسة مجلس النظار.

ولعله كان طامعًا فيما وراءها، والمظنون أنه كان من أكبر المساعدين على اشتداد تلك الثورة، فلما احتل الإنكليز مصر كان في جملة الذين حوكموا، وحُكِم عليه بالنفي إلى سيلان سنة ١٨٨٢، ثم عُفِي عنه ورجع إلى مصر في أواخر القرن الماضي، وقد كف بصره، فتوفي سنة ١٩٠٤، وكان شاعرًا بليغًا يعترف له الشعراء بالرئاسة، ويعدونه في مقدمة الطبقة الأولى، وقد جُمِعت منتخباته في ديوان طُبِع بمصر.[١٢]

(١٤) **خليل الخوري اللبناني توفي سنة ١٩٠٧ / ١٣٢٥هـ:**

خليل الخوري.

وُلِد في الشويفات (لبنان)، وانتقل إلى بيروت وليس فيها مدارس عليا، فتعلَّم في بعض المدارس الصغرى، وساعده ذكاؤه ونشاطه على إتقان الفرنساوية والتركية، فأهَّله

ذلك لارتقاء المناصب السياسية حتى صار مديرًا للأمور الأجنبية في سوريا، وكانت له منزلة رفيعة لدى رجال الدولة، وليس ذلك سر تقدُّمه عندنا، وإنما هو مقدَّم بفضل يذكره له التاريخ؛ لأنه مؤسس الصحافة العربية في سوريا، فقد أنشأ فيها أول صحيفة عربية سنة ١٨٥٨، نعني «حديقة الأخبار»، وظلت تصدر إلى قبيل وفاته سنة ١٩٠٦.

وهو مع ذلك شاعر مطبوع ينزع في نظمه إلى الطريقة العصرية، واستحسن الإفرنج أسلوبه، فنقلوا منه شيئًا إلى الفرنساوية نُشِر في المجلة الأسيوية، وقد جُمِعت أشعاره في دواوين منها: «زهر الربى»، و«العصر الجديد»، و«الشاديات»، و«النفحات»، وكلها مطبوعة في بيروت، وتشتمل على ما نظمه إلى سنة ١٨٨٤، أما ما جادت به قريحته بعد ذلك فلم يُطبَع بعدُ، وله روايات أدبية.

ونقل عن التركية كتاب تكملة العبر لصبحي باشا، وهو تتمة تاريخ ابن خلدون، طُبِع في بيروت.

(١٥) **الشيخ حسين الجسر الطرابلسي توفي سنة ١٩٠٩/١٣٢٧هـ:** هو من خيرة أدباء طرابلس الشام في أواخر القرن الماضي، اشتهر على الخصوص بجريدة طرابلس، وكان له مريدون يحبونه ويقولون بقوله، وُلِد في طرابلس سنة ١٢٦١هـ، وتلقى مبادئ العلم على صهره الشيخ عبد القادر الرافعي، وأتم علمه في الأزهر، وعاد إلى بلده يشتغل بالمطالعة والتبحر والكتابة والتأليف، وفيه ميل على الخصوص إلى العلوم الفلسفية العقلية، وجعل وجهة عمله تطبيق العلوم الطبيعية والفلسفية على القواعد الدينية الإسلامية.

وما زال عاملًا حتى توفي سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩، وقد خلف آثارًا بعضها طُبِع، وبعضها لم يُطبَع، أما آثاره المطبوعة فهي:

(أ) رياض طرابلس: هي مجموعة في عشرة أجزاء كبيرة، جمع فيها نخبة ما كتبه في جريدته من المقالات العلمية والأدبية والاجتماعية.

(ب) سيرة مهذب الدين: في قالب رواية اجتماعية فيها نقد الأخلاق والعادات، نُشِرت في جريدة طرابلس.

(جـ) رسائل مختلفة في مواضيع أدبية أو سياسية، ومنظومات في التربية ونحوها، وأما آثاره التي لم تطبع فهي:

- الكواكب الدرية في الفنون الأدبية: (البيان والبديع والإنشاء).

- كتاب الدفاع عن الدين الإسلامي.
- منظومات عديدة.

(١٦) **أبو حسن الكستي البيروتي توفي سنة ١٩١٠/١٣٢٨هـ:** كان من أصدقاء الشيخ إبراهيم الأحدب المتقدم ذكره في بيروت، وله ديوانان أحدهما طبع سنة ١٢٧٩هـ، والثاني طبع سنة ١٢٩٩هـ، وكان ظريف العشرة.

(١٧) **نجيب إبراهيم طراد توفي سنة ١٩١١/١٣٢٩هـ:** هو من أسرة طراد الشهيرة في بيروت، وكان من نوابغ الأدباء، تثقَّف في بيروت، وأتقن لغات عديدة في جملتها الألمانية، وتفقه في أهم علوم العصر، وحرر عدة جرائد في بيروت والإسكندرية ومصر، وترجم كثيرًا من الروايات الإفرنجية، وعلَّم في مدارس كثيرة، وتوظف في الحكومة المصرية، وتوفي في بيروت سنة ١٩١١، ومن آثاره غير الترجمات المتقدم ذكرها تاريخ مكدونيا، طُبِع في بيروت سنة ١٨٨٦، وتاريخ الرومانيين لم يُطبَع.[١٣]

(١٨) **الشيخ أمين الحداد اللبناني توفي سنة ١٩١٢/١٣٣٠هـ:** هو شقيق نجيب الحداد المتقدم ذكره، وكان يدانيه في قريحته الشعرية وأسلوبه الإنشائي، حرر في كثير من الجرائد والمجلات في الإسكندرية، ولا سيما البصير، وكان شاعرًا مطبوعًا جُمِعت أشعاره في ديوان طُبِع في الإسكندرية، وفي مصر، والشام، والعراق، وغيرها اليوم طبقة من الشعراء لا يشق لهم غبار، ويستحق كل قطر أن يفرد للكلام في شعرائه كتاب خاص.

كتب أدبية عصرية

ومن كتب الأدب التي ظهرت في هذا العصر ترجمة أو تأليفًا، وأصحابها لا يزالون في قيد الحياة طائفة حسنة نأتي على ذكرها استيفاءً للكلام في هذا الباب، وهي:

- حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي.
- الريحانيات لأمين ريحاني
- في سبيل الحياة لصالح حمدي حماد.
- ليالي سطيح لحافظ إبراهيم.
- ليالي الروح الحائر لمحمد لطفي جمعة.
- النظرات لمصطفى لطفي المنفلوطي.
- علم الانتقاد لقسطاكي حمصي.
- مقالات علم الأدب للأب شيخو.

(٢) الموسيقى العصرية

حدث في هذه النهضة حركة فكرية موسيقية، وأصاب الموسيقى تغيير اقتضته الأحوال الاجتماعية، ونبغت طائفة من الموسيقيين أو المغنين إمامهم عبده الحامولي صاحب طريقة الغناء الحديثة بمصر، ولهذه الطريقة تاريخ خلاصته: أن رجلًا من أهالي حلب اسمه شاكر أفندي وفد إلى القطر المصري في المائة الأولى بعد الألف للهجرة، وكان فن الألحان فيه مجهولًا، فنقل إليه جملة تواشيح وقدود، وكانت هي البقية الباقية من التلاحين التي ورثها الحلبيون عن أهل الدولة العربية، فتلقاها عنه بعضهم وحفظوها، واشتد حرصهم عليها، وصار الواقفون عليها يحرمون الناس من تلقينها، لكنها بقيت بينهم على بساطتها الأصلية، فكانت قاصرة على أمهات المقامات، وبعض الفروع المقاربة لها، وكانت بالنسبة للغناء مثل حروف الهجاء بالنسبة للكلام.

وأقام المغنون في مصر على هذه الطريقة البسيطة لا يتصرفون فيها إلى عصر عبده الحمولي، فتلقاها منهم على أصلها وغنَّى بها مدة، ثم دفعته سجيته في الطرب وحسن ذوقه في الغناء إلى أن يتصرف فيها مع المحافظة على الأصل، وعدم الخروج عن دائرته، فأزال عنها بعض الجفوة، وما زال يرتقي في شهرته بحسن الغناء حتى ألحقه الخديو إسماعيل باشا بمعيته، فسافر معه إلى الأستانة مرارًا، وسمع هناك آلات الموسيقى التركية، وجلب إسماعيل باشا في عودته إلى مصر جماعة من أكابر المغنين فيها، فكان عبده يحضر معهم دائمًا في اشتغالهم بالغناء، فاستمالته ألحانهم، وأخذ ينتقي منها ما يلائم المزاج المصري ويناسب الطريقة العربية، ورأى المجال واسعًا له في الموسيقى التركية؛ إذ وجد فيها كثيرًا من النغمات التي لم يكن للمصريين علم بها، ولم تطرق آذانهم من قبلُ، مثل: النهاوند والحجاز كار والعجم وغيرها، فنقلها إلى الغناء المصري، ثم التفت إلى بقية مصطلحات الغناء في الطبقات المختلفة من ذلك العصر، مثل: المنشدين المشهورين بأولاد الليالي (الفقهاء)، والعوالم (القيان)، والمداحين (الضاربين بالدفوف)، والتقط منهم ما استنسبه فأضافه مع المختار من الغناء التركي، وخلطه بالطريقة القديمة فجعلها طريقة جديدة خاصة به، وظهر في مصر وفيها شيوخ المغنين فصار شيخًا عليهم، وقد دعاهم جهلهم بما صنع إلى استنكار طريقته في أول الأمر، ولكن ما لبث الناس أن ذاقوا حلاوتها وطلاوتها، فعمَّ استحسانها، وذهب استنكارها، وانتصر بحسنها عليهم، وله فيها من التلاحين أشياء كثيرة.

عبده الحمولي المصري توفي سنة ١٩٠١ / ١٣١٩هـ

وُلِد في طنطا سنة ١٨٤٥ وأبوه يتاجر في البن، وكان لعبده شقيق اختصم مع أبيه، ففر بأخيه هائمًا في الأرياف، فآواهما رجل كان يشتغل بالغناء ويضرب على القانون، وسمع صوت عبده فأطربه وعاد به إلى طنطا، وكان يغني معه، ثم جاء به إلى مصر، واشتهر عبده واتسع رزقه، وكان في مصر رجل اسمه المقدم مشهور بالغناء اجتذبه إليه، فاشتغل في تخته على طريقة الغناء المعروفة يومئذٍ، ثم أخذ يتفنن في الغناء على أساليب خاصة به وتُنسَب إليه، وتمكَّن من التوفيق بين المزاجين التركي والمصري.

عبده الحمولي.

وكان أهل الطبقة الحاكمة في المصريين من الأصل التركي لا يطربون للغناء المصري، ولا يلتفتون إليه، لكن عبده وفق الألحان على طريقة حبَّبت إلى الأتراك سماعها، وكان المصريون لا يطربون إلى الغناء التركي، ولا يروقهم غير التوجع والأنين، فأصبحوا يطربون لما يلائمهم من الأنغام التركية، فهو معدل المزاجين بين الأمتين، وبلغ من الشهرة والوجاهة في عصره ما لم ينله سواه، وكان مقدَّمًا عند إسماعيل يتسابق العظماء والأمراء إلى استرضائه.[١٤]

ونبغ بعد الحمولي أو عاصرته طبقة من المغنين لكل منهم طريقة تُعرَف به، منها طريقة الشيخ يوسف المنيلاوي المتوفى منذ عامين، وطريقة الشيخ سلامة حجازي في الإنشاد، وهو مشهور في ذلك حتى أصبح اسمه علمًا لطريقته، وقِسْ على ذلك الطرق الأخرى لكثيرين من المغنين الأحياء بمصر.

أما من حيث فن الموسيقى نفسه، فالأفكار متجهة اليوم إلى إحيائه على الطريقة العصرية بأسلوب علمي تُربَط به الألحان بالعلامات والأنغام كما فعل الإفرنج في ألحانهم، وقد حاول ذلك غير واحد ولا يزالون عاملين في هذا السبيل، ولم ينضج هذا العمل بعدُ، وقد ظهرت عدة كتب في هذا الموضوع بالعربية، وتناقش أرباب هذه الصنعة في الجرائد والمجلات، ولا تزال الهمة مبذولة في هذا السبيل، وأنشأ بعضهم في مصر معهدًا للموسيقى العربية لترقية هذا الفن بالتعليم والمذاكرة، والتنقيب عن المؤلَّفات العربية الخاصة به وبالموسيقى الإفرنجية، وإلقاء المحاضرات والدروس وغير ذلك، لكنه لا يزال في أوله ولم تظهر أعماله، وأُنشِئ معهد لمثل هذا الغرض في الإسكندرية.

هوامش

(١) تجد أمثلة من الشعر العصري في الهلال، صفحة ٤٩٨ سنة ١٣.

(٢) ترجمة حياته وأمثلة من نظمه في مشاهير الشرق ٢٧٥ ج٢ (ط٢).

(٣) ترى ترجمته وأمثلة من شعره في مشاهير الشرق ٢٧٨ ج٢ (ط٢).

(٤) تجد ترجمته وأمثلة من أشعاره في تراجم مشاهير الشرق ٢٨٢ ج٢ (ط٢).

(٥) تفصيل ترجمته في كتاب الصحافة العربية ١١٩ ج٢، وتاريخ الآداب العربية للأب شيخو صفحة ٩٨ ج١.

(٦) تجد ترجمته وأمثلة من أقواله في مشاهير الشرق ٢٨٥ ج٢ (ط٢).

(٧) تجد ترجمته وأمثلة من أشعاره في مشاهير الشرق ٢٨٩ ج٢ (ط٢).

(٨) تفصيل ترجمته وأمثلة من أشعاره في تراجم مشاهير الشرق ٢٩٨ ج٢ (ط٢).

(٩) ترجمته الوافية في تراجم مشاهير الشرق ٣٠٥ ج٢ (ط٢).

(١٠) تفصيل ترجمته في مشاهير الشرق ١٠٥ ج٢ (ط٢).

(١١) ترجمته وأمثلة من نظمه في مشاهير الشرق ٣٢٥ ج٢ (ط٢).

(١٢) تفصيل ترجمته في تراجم مشاهير الشرق ٣٣٣ ج٢ (ط٢).

(١٣) تجد تفصيل ترجمته في الصحافة العربية ١٨٤ ج٢.

(١٤) تجد تفصيل ترجمته في تراجم مشاهير الشرق ٣٤١ ج٢ (ط٢).